

١ فصل في مقامات العشق

يقول الإمام ابن القيم «وَالْعَاشِقُ لَهُ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ مَقَامُ ابْتِدَاءٍ وَمَقَامُ تَوَسُّطٍ وَمَقَامُ انْتِهَاءٍ مَقَامُ ابْتِدَاءِهِ: قَالُوا: يَجِبُ عَلَيْهِ مُدَافَعَتُهُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، إِذَا كَانَ الْوُضُوءُ إِلَى مَعْشُوقِهِ مُتَعَذِّرًا قَدْرًا وَشَرَعًا، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ وَأَبَى قَلْبُهُ إِلَّا السَّفَرُ إِلَى مَحْبُوبِهِ - وَهَذَا مَقَامُ التَّوَسُّطِ وَالْإِنْتِهَاءِ - فَعَلَيْهِ كَيْفَانُهُ ذَلِكَ، وَأَنْ لَا يُفْشِيَهُ إِلَى الْخَلْقِ، وَلَا يَشْمِتَ بِمَحْبُوبِهِ وَيَهْتِكُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيُجْمَعُ بَيْنَ الشَّرِّكَ وَالظُّلْمِ، فَإِنَّ الظُّلْمَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَرُبَّمَا كَانَ أَعْظَمَ زُرًّا عَلَى الْمَعْشُوقِ وَأَهْلِهِ مِنْ ظُلْمِهِ فِي مَالِهِ، فَإِنَّهُ يُعْرِضُ الْمَعْشُوقَ يَهْتِكُهُ فِي عَشْقِهِ إِلَى وُقُوعِ النَّاسِ فِيهِ»

وشرح هذا أن المرء إذا قيم المعشوق وعرف أنه لا يمكن الوصول إليه قدراً وشرعاً فيجب أن يمنعه ويغلقه ويجاهده فإن عجز عن ذلك فعليه بمقام التوسط وأن يكتفئ الأمر تماماً ولا يبوح به لأحد لأنه يعلم أنه لا يقدر على وصل هذا المعشوق

ثم يقول «أَنَّ فِي إِظْهَارِ الْمُتَبَلَّى عَشْقٍ مَنْ لَا يَجِلُّ لَهُ الْإِتِّصَالُ بِهِ مِنْ ظُلْمِهِ وَأَذَاهُ مَا هُوَ غَدَوَانٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ، وَتَعَرُّضٌ لِتَضْرِيكِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ظُورُهُمْ فِيهِ، فَإِنْ اسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِمَنْ يَسْتَمِيلُهُ إِلَيْهِ، إِقَامًا بِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ، تَعَدَّى الظُّلْمُ وَانْتَشَرَ، وَصَارَ ذَلِكَ الْوَاسِطَةَ دُيُوثًا ظَالِمًا»

ثم يقول «وَالْمَعْشُوقُ إِذَا لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ يُعْرِضُ الْعَاشِقَ لِلتَّلْفِ، وَذَلِكَ ظُلْمٌ مِنْهُ، بَأَن يُظْمِئَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَتَرْتَّبَ لَهُ وَيَسْتَمِيلُهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ حَتَّى يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَالَهُ وَتَفْعَهُ وَلَا يُمْكِنُهُ مِنْ نَفْسِهِ، لِئَلَّا يَزُولَ عَرَضُهُ بِقَضَاءِ طَوْرِهِ مِنْهُ، فَهُوَ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ، وَالْعَاشِقُ رُبَّمَا قَتَلَ مَعْشُوقَهُ لِيَشْفِي نَفْسَهُ مِنْهُ، وَلَا يَسِيئًا إِذَا جَادَ بِالْوُضَالِ.....»

وشرح ذلك أن المعشوق إذا لم يتق الله وعلم أن هناك من يحبه وهو لا يحبه ولا يعشقه ربما استغل ذلك لمصالح ومنافع له ويتلاعب بمن يحبه والعاشق إذا عرف ذلك وعلم أنه كان يتلاعب به وأدرك ذلك ربما قتل المعشوق وغير ذلك مما نراه اليوم من الحوادث الكثيرة.

ثم يقول «فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُحْكَمَ عَلَى نَفْسِهِ عَشْقُ الطَّوَرِ، لِئَلَّا يُؤَدِّيَهُ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْمَقَاسِدِ أَوْ أَكْثَرِهَا أَوْ بَعْضِهَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ الْمُفَرِّطُ بِنَفْسِهِ الْمُفَرِّطُ بِهَا، فَإِذَا هَلَكَتْ فَهُوَ الَّذِي أَهْلَكَهَا، فَلَوْلَا تَكَرُّرُهُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ مَعْشُوقِهِ وَظَفَعُهُ فِي وَضَائِهِ لَمْ يَتِمَّكَنْ عَشْقُهُ مِنْ قَلْبِهِ فَإِنَّ أَوَّلَ أَشْبَابِ الْعِشْقِ الْإِسْتِحْسَانُ سَوَاءً تَوَلَّدَ عَنْ تَطَرُّ أَوْ سَمَاعٍ فَإِنَّ لَمْ يَقَارَنْهُ طَمَعٌ فِي الْوُضَالِ وَقَارَنَهُ الْإِيَّاسُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ لَهُ الْعِشْقُ، فَإِنْ اقْتَرَنَ بِهِ الطَّمَعُ فَصَرَفَهُ عَنْ فِكْرِهِ وَلَمْ يَسْغَلْ قَلْبُهُ بِهِ؛ لَمْ يَحْدُثْ لَهُ ذَلِكَ.....»

وشرح ذلك أن المعشوق إذا لم يتق الله وعلم أن هناك من يحبه وهو لا يحبه ولا يعشقه ربما استغل ذلك لمصالح ومنافع له ويتلاعب بمن يحبه والعاشق إذا عرف ذلك وعلم أنه كان يتلاعب به وأدرك ذلك ربما قتل المعشوق وغير ذلك مما نراه اليوم من الحوادث الكثيرة.

وشرح ذلك أن تكرار النظر هو سبب المفاصد لأن الشخص إذا ألق على نفسه هذا الباب من الأساس ما كان سيصل لهذه المراحل من العشق المحرم وأول العشق الاستحسان أنك ترى في المعشوق الأخلاق والأدب ثم يتولد بعد ذلك تعمد للنظر والمتابعة فيقول الإمام لا أحد ينجو بعد ذلك إلا قلة فمنهم من ينجو من باب اليأس فلو فكر المرء بعقله أن الأمر مستحيل فيأخذ قرار ليوقف المهلكة، أو هناك احتمال آخر أن لا يريد أن يعمل فكره في هذا الأمر فيوقفه اختياراً وقد يدفعه الخوف من الله من أو أن يسقط من نظر الناس فيوقف هذا ذلك التزييف

٢ فصل في نقل من أباح العشق

اختيار الإمام ابن القيم في الكتاب أن الإنسان إذا ابتلى بشيء من العشق فيجب أن يدفعه ولكنه من باب الإنصاف نقل كلام من أباحه لأن هناك من الاسترسال غير من محرم ولكن بشرط أن لا يوقع في محرم ومن شدة إنصافه نقل أدلتهم فمنهم من قال أن العشق يرقق الطبع وأنه ترويح للنفس وأنه يشجع جنان الجبان وأنه يصفى الذهن وغيره

ثم يقول الإمام أن كل هذه الأقوال مردود عليها لأن أغلب الآثار التي نقلت أثرها ضعيف فيجب أن تستدل بما هو صحيح

وأن هذه الآثار المقصود بها العشق الحلال الذي شعر به صاحبه ثم علم أنه له سبيل للوصول للمعشوق.

ثم يقول الإمام فالجواب وبالله التوفيق أن كل هذه الآثار التي رويت فلا بد فيها من التمييز بين العشق الجائر والعشق المحرم ويفهم الناقل ما هو المقصود من وراء كلام السلف لأن الناقل قد ينقله وهو يفهمه على شكل خاطئ.

ثم يذكر أنه إذا ضعفت محبة الله في القلب فلا بد أن يدخل محبوب آخر لذلك الإنسان يجب أن يحب الله الحب الأكمل ويكون أي محبوب آخر هو خاضع للمحبوب الأول الذي هو الله عزوجل لذلك من ضمن ما يمنع الإنسان أن يقع في العشق هو الخوف من الله والحب وهذا محور كلام الإمام فهذه أصل الأصول أن يمنع الإنسان أي شيء قبل وقوعه وأن يملأ الإنسان قلبه بمحبة الله عزوجل.

٣ دواعي المحبة

يقول الإمام أن المحبة لها داعيان أولهما هو كمال الشخص والآخر نفعه المتعدي له فكلما كمل الشخص كلما ازدادت المحبة ولأن القلوب جبلت على محبة الكمالات وأضف لذلك كلما يكون هناك نفع متعدي.

كلما ازدادت المحبة فلو من باب الكمال فإله هو أولى بكل جميل وهو أولى بكل محبة ولو من باب النفع فإله فحتى النفع الذي يصل إليك من محبوبك لا يكون إلا بعد إدنه سبحانه إذا ينبغي أن تصرف المحبة الكاملة له وحده.

٤ دواعي محبة الله - عزوجل -

يقول الإمام «وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوَّلِي يَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا فِي الْمَحَبَّةِ وَلَوَازِمِهَا أَفَلَيْسَ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَوَّلِي بِمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكُلُّ مَا مِنْهُ إِلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ يَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ، مِمَّا يُجِبُّ الْعَبْدَ وَيُكَرِّهُ - مَعْطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ، وَمُعَاقِبَاتُهُ وَتَائِبِلَاؤُهُ، وَقَبْضُهُ وَبَسْطُهُ، وَعَذْلُهُ وَقَضْلُهُ، وَإِمَاتَتُهُ وَإِحْيَاؤُهُ، وَلُطْفُهُ وَبَرْهُ، وَرَحْمَتُهُ وَإِحْسَانُهُ، وَسِرُّهُ وَعَفْوُهُ.....»

٥ فصل في (كمال اللذة)

يقول ابن القيم «وَكُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّذَّةَ بِحُصُولِ الْمُحْبُوبِ بِحَسَبِ قُوَّةِ مَحَبَّتِهِ، فَكُلَّمَا كَانَتْ الْمَحَبَّةُ أَقْوَى كَانَتْ لَذَّةُ الْمُحِبِّ أَكْمَلَ، فَلَذَّةُ الْعَبْدِ مَنْ اشْتَدَّ ظَمْؤُهُ بِإِذْرَاكَ الْمَاءِ الرُّزْلِلِ، وَمَنْ اشْتَدَّ جُوعُهُ بِأَكْلِ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ.

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ شَوْقِهِ وَشِدَّةِ إِزَادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاللَّذَّةُ وَالشَّرُّوُ وَالْفَرْخُ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي نَفْسِهِ، بَلْ هُوَ مَقْصُودُ كُلِّ حَيٍّ وَعَاقِلٍ، إِذَا كَانَتْ اللَّذَّةُ مَطْلُوبَةً لِنَفْسِهَا فَهِيَ تَذْمُ إِذَا أُعْقِبَتْ أَلَمًا أَعْظَمَ مِنْهَا، أَوْ مَنَعَتْ لَذَّةً خَيْرًا مِنْهَا وَأَجَلَ، فَكَيْفَ إِذَا أُعْقِبَتْ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ، وَقَوَّتْ أَعْظَمَ اللَّذَاتِ.....»

أنواع لذات الدنيا

١ لذة في الدنيا توصل للآخرة : الأكل / الشرب / الجماع .. لو احتسب المرء فيها النية وكانت حلال ويؤجر عليها

٢ لذة في الدنيا تمنع الآخرة: مثل حب الأوثان والإباحية والعشق المحرم عياداً بالله

٣ لذة مباحة : لا تمنع من الآخرة ولكن تمنع عن كمال الدار الآخرة مثل ضياع الوقت فلو استثمره المرء لنفعه ذلك فالآخرة.



الداء والدواء
بشرح المهندس علاء حامد



تمت الدورة بفضل الله
لا تنسوننا من صالح الدعاء